CC BY

تشظي الهوية في رواية حارس التبغ للروائي علي بدر

سحر ريسان حسين *

تأريخ التقديم: 2019/10/14 تأريخ القبول: 2019/11/11

المستخلص :

إن البحث في موضوعة (الهوية) وتقصي حقيقة انشطارها وتشظيها وتموضعها وما يحيل إليه فضائها المنفتح على الذات والاخر والكنيونة والوجود والثبات والتعدد والانفتاح والخصوصية يشكل مما لاريب فيه بحثا مهما، فليست الهوية كياناً يعطى دفعة واحدة إنها حقيقة تولد وتتطور وتتغاير وتعاني استلاباً وتحولات وجودية وكارثية تخلخل أنساقها وتهدد اساسيات ومقومات وجودها ومسارات تكاملها، ولأن فضائها هو فضاء الحراك الانساني بعوالمه المتعددة ومزاياه المتجددة ، إنه فضاء حاوي ودامج لنجاحات واخفاقات وتنافرات ومفارقات ، فضاء متعدد متناقض إذ يضم الفرد الواحد الذي فقد وحدته وانسجامه مع ذاته فلم يعد ذاتا واحدة بل تعددت الذوات المتعارضة والمتباينة حسب الظروف والسياقات والانساق التي فعلت مؤثراتها وأملت عليها قوانينها واشتراطاتها القاسية والتي شرعنت التشظي وجعلته بنية لازمة ورهاناً متجسداً وصيرورة لا غنى عنها لتوليد المعنى وتشكيل الدلالات وإثرائها في ثنايا وتمفصلات الفضاء الهوياتي اللانهائي .

الكلمات المفتاحية : الهوية؛ الانتماء؛ الموسيقى

المقدمة :

ومن الجدير بالذكر ان القضية أخذت مسارات عديدة وذلك بقدر تعلق الامر بموضوعة تشظي الهوية إذ تمظهرت القراءة على وفق محورين قدمنا لهما بتعريف اصطلاحي وتحديد لموضوعة التشظي ومصطلح الهوية ، وقرأنا بعد ذلك في المحور الأول التعالق الجوهري بين الهوية وبنية التشظي / وهم الانتماء وحتمية الموت ،

* أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل .

في حين رصد المحور الثاني خطى العلاقة الجمالية بين التشظي الهوياتي والفعل الموسيقي معلناً عمق تلك العلائق ومبررات وجودها ومزاياها وذلك حسبما قدمته قراءة وتقصي المتن الروائي(حارس التبغ) [1].

إذا انطلقنا من مفهوم التشظي ،بوصفه محوراً اساسياً يحدد مسار هذه القراءة ويبحث في حيثياتها لوجدنا إن لفظة التشظي تحيل في المستوى اللغوي على دلالات ومعان سلبية , فتشظى الشيء إذا ((تفرق وتشقق وتطاير شظايا)) [2] . ولأن التشظي يمثل ((تجربة يومية نعيش فيها توزع الهم وتشتت النفس بين خيارات عديدة كلها محدودة ،وكلما ازداد تشظي الذات كلما هبط سقف العالم وضاق الافق الذي يحدها ويحول دون ادراكها لحقيقة وجودها وسبرها لإمكانات ذلك الو جود)) [3] ولان عنوان القراءة يقر بتشظي الهوية الذي يضيق به الكون حتى يتحول الى قائمة نجاحات حققها واحباطات لا مفر منها واشياء تتوزع حول نفسه بينما نفسه ممزقة تتساقط انفسا)) [4] إذ يبدو أن تشظي الهوية يتبلور هنا كحقيقة منطقية تشتمل على بذور فنائها وانشطارها بفعل مسببات وعوامل متعددة تتقن تشويهها وتشظيها .

وقد ارتأينا من منطلق إجرائي منهجي أن نعرج على تحديد ماهية الهوية بوصفها جوهر هذه المقاربة وأساس انطلاقها ولأن مسألة الهوية مازالت تثير حيرة وتساؤلا متواترا لدى النقاد والباحثين في شتى المجالات :الادبية والفكرية والفلسفية

---

(1) علي بدر كاتب وروائي عراقي حصل على شهرة واسعة النطاق بسبب رواياته واعماله الادبية ، ولد في بغداد وعاش فيها حتى انتقاله الى أوروبا في بلجيكا بعد ترجمة أعماله إلى لغات عديدة ، دشن تيار ما بعد الحداثة في الرواية العربية ، وأعماله وثيقة الصلة بحياته من جهة ومن جهة أخرى هي مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في العراق ومن رواياته : أساتذة الوهم ، بابا سارتر ، الجريمة والفن وقاموس بغداد ،الركض وراء الذئاب ، حارس التبغ ، شتاء العائلة ، صخب ونساء وكاتب مغمور ، الطريق إلى تل مطران ، مصابيح أورشليم ، ملوك الرمال ، الوليمة العارية . الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت الموقع الالكتروني : www.iki,httbs://ar.m.wikibedia.org

(2) لسان العرب / ابن منظور /باب الشين – شظى / المجلد الرابع /2268.

(3) جماليات التشظي (دراسات نقدية في ادب ادوارد الخراط وبدر الديب) /13-14

(4) ينظر: جماليات التشظي /18 .

والثقافية والتاريخية والمعرفية من ناحية ضبط المفهوم والمصطلح ،إذ ثمة تحديات تواجه الهوية في مجتمعاتنا لأنها تمثل الميزة الثقافية التي يجب أن تواجه بها مجتمعاتنا التشدق الديني والتعصب الطائفي والقومي ،فضلا عن إن مسألة الهوية قد طرحت تساؤلات واشكاليات عدة حول اصلها وماهيتها ولكونها ظلت دوما مصطلحاً يتطلب التجديد والتنوع في الطرح والمعنى والنتائج ،فالهوية تعني ((تميز الذات من جهة واثبات وجودها في دائرة معينة في حدو د واضحة المعالم ،انطلاقا من قناعة راسخة وفكرة مهيمنة تحتم على صاحبها عدم الذوبان في غيرها)) [1]،ويطرح مفهوم الهوية معان متعددة فهي الحقيقة المطلقة مثلما يذهب الجرجاني في كتابه التعريفات ،فالهوية ((الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق)) [2] وتأخذ معنى المرجع او المنبع والمصدر فالهوية هي ((الاصل والجوهر فالهوية من (هو)بمعنى جوهر الشيء وحقيقته وبالتالي فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد وتتغير لتفصح عن ذاتها ما بقيت الذات قيد الحياة)) [3] وبهذا تتعدد دلالات التعريف اللغوي للهوية وكأنه مفهوم ينفلت عن التحديد لتتقاطع وتشتبك ضمنه مختلف الحقول والاختصاصات المعرفية بخطاباتها المتعددة ،فهو المرجعية تارة والجوهر والحقيقة المطلقة والخصوصية التي تضفي التميز والتفرد عن الاخرين تارة أخرى بوصفه ((طريقة للحضور في العالم)) [4]لأنها تمثل قيمة اعتبارية فكرية ووجدانية ووجودية هدفها حماية الذات من السقوط في أتون الجنون وحبال الحيرة والشك القاتل لاسيما اذا ما واجهت كل ما من شأنه أن يفككها ويشرعن نفيها وتشظيها .

---

(1) الهوية في الخطاب السردي بين سلطة اللغة وهيمنة الانتماء / عمار حلاسة / الملتقى الدولي حول السرديات / جامعة ورقلة – الجزائر /354

(2) كتاب التعريفات / الجرجاني /278

(3) صورة الاخر في الشعر من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي / فهد سعد الدويخ / 20

(4) سؤال الهوية ونقد منطق الخصوصية /د_ وفيق سليطين /مؤتمر الهوية الوطنية – قراءات ومراجعات في ضوء الازمة السورية /6 .

وفي هذا السياق نجد أنه من المفيد أن نعرج على الهوية من المنظور الفلسفي والذي فرضت فيه الهوية نفسها كمصطلح فلسفي ((يستدل به على كون الشيء هو نفسه)) [1] فالإحساس بالهوية يمثل ((مركب من المشاعر المادية ، ومركب من مشاعر الانتماء ،والتكامل ،والاحساس بالاستمرارية الزمنية ، والتنوع والقيم ، والاحساس بالوجود)) [2] ووفقا لذلك تبرز الهوية كمصطلح عصي عن التحديد رغم المحاولات الدائمة لتفكيكه لأنه فيض يتجدد لا يعرف الاكتمال و الانجاز والانتهاء لصلتها الوشيجة بالإنسان وحيواته وازمانه المتجددة ،فالهوية مصطلح يستحق المزيد من التأمل المستمر لتكون في المحصلة النهائية ((جملة من العلاقات والروابط العقلية (اجتماعية –اقتصادية –ثقافية)نسجها تطور تاريخي محدد في الزمان والمكان قاصدة ابعاد ثلاثة هي علاقة الذات بذاتها وعلاقة الذات بالموضوع وعلاقة الانا بالآخر)) [3] وبالتالي تظهر الهوية كنسيج علائقي متواشج مبني على ثنائيات الوحدة والتعدد والتماثل والاختلاف والانكماش والانفتاح والثابت والمتحول لهذا لا يمكن اختزالها وحصرها بحدود لأنها معاشة على مدى الازمان واختلاف الامكنة وتحولها وتطور حركة التاريخ واتساع الفضاء الثقافي والانساني.

مظاهر التشظي الهوياتي في رواية (حارس التبغ)

يبدو إن سرد الهوية والاحتفاء بالخصوصية العراقية سمة بارزة انمازت بها عدد من النصوص الروائية التي قاربت موضوعة الهوية وجعلت منها هوية متفاعلة ممتدة وحاضرة تتشابك في عوالمها أزمنة وتجارب وحيوات وفضاءات ومرجعيات متباينة : فكرية – ثقافية – سياسية – ادبية لتتصل في مجملها ومحصلتها بقيم تأصيل الذات وتجذير كيانها.....ورواية حارس التبغ للروائي (علي بدر)احدى اهم النصوص الروائية الحداثية التي طرحت اشكالية الهوية وأثارت سؤال تشظيها

(1) كتاب الحروف / الفارابي /115-116

(2) الهوية / اليكس ميكشيللي /129

(3) بول ريكور الهوية والسرد /حاتم الورفلي / 31

والتباسها ،وإذا كانت الهوية هي اساس الوجود والكينونة والأصل و الاحساس بالثبات فإن التشظي في رواية حارس التبغ هو اجتثاث من هذا الاصل وتشويه له .

إن المنجز الروائي الثر لعلي بدر يعد وثيقة أدبية سردية ذات صلة رصينة بالطبقة الوسطى للمجتمع العراقي والتي تأخذ على عاتقها إعادة قراءة وإنتاج التاريخ المعاصر للعراق لاسيما الثقافي منه)) [1] ،ويلاحظ من خلال قراءة المدونة السردية(حارس التبغ) إن تشظي الهوية قد اتخذت محورين اساسين :

اولا :- الهوية المتشظية ونحت الهوية (هم الانتماء – حتمية الموت)

إن تحقيق الذات وإثبات الهوية في رواية حارس التبغ يتواجه بتفاعل مرجعيات سياسية وثقافية وفكرية ودينية تشرعن النفي بوصفه منظومة متأصلة ومتجذرة وكفعل حقيقي يمارس ضد الهوية فحيثما ((تواجه السلطة تحديا تنتج آلياً لاهوتها الخاص بها)) [2] ،وفي رواية (حارس التبغ) تسعى شخصية (يوسف سامي صالح) صاحب الهوية – الاصل – اليهودية وكما يقول (موريس بلانشو)للذوبان ((والوحدانية داخل العالم او الوحدانية على مستوى العالم حيث الانا تخاطر دائماً في سبيل أن تكشف العدم الذي يذوبها ،وبموازاة هذه الوحدانية يولد فشل التواصل الخارجي الذي يجعل الانسان في مواجهة القلق والعدم وحتمية الموت)) [3] وبمواجهة هذا العدم تسعى الشخصية لنحت الهوية ،هوية جديدة هدفها البقاء في الوطن والتشبث به او العودة اليه اولاً ولحماية نفسها من مصاعب الحياة وتحولاتها ثانياً ، فالهوية عند يوسف ((ليست كينونة مصمتة او مضروبة على خصائص ثابتة ،بل هي ذات طابع حركي يؤلف بين الثبات والتغير وبين الوحدة والتعدد وبين التماثل والاختلاف فقدرها ان تحيا منثنية على انشطارها)) [4] ففي كل مرة يفقد يوسف سامي هويته الاصل يسعى نحو تأصيل وتجذير ونحت هوية جديدة متحولة ومتشظية

(1) ينظر الانتلجينيسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي (دراسة في الرؤى والتمثلات) / محمد فاضل المشلب / 9

(2) فن الرواية / ميلان كونديرا / 106

(3) الفوضى الممكنة (دراسات في السرد العربي) /عبد الرحيم العلام / 65- 66

(4) بول ريكور الهوية والسرد / 38

عن الهوية الاصل ومنشقة عنها ومتلازمة معها ،وتمثل هذه الهوية المتشظية مقاومة تنويرية متجددة ضد النفي الظاهر والمبطن والكبت في المجتمع والدولة لان الهوية كما يرى (بول ريكور) تمثل ((تقاطع بيسكولوجي همها الرغبة في الوجود ، وسسيولوجي همها التموضع داخل الاجتماع)) [1] ولهذا تسعى الشخصية – الذات في الرواية للعمل على إيجاد موطئ قدم بنحت هويات جديدة لتمتلك من خلالها وبموازاتها وجودها الواقعي أو التخييلي ، ففي خضم التحولات والانقلابات اللاعقلانية التي مرت بها الذات وواجهتها فإنها أجبرت على إعادة تشكيل هويتها لتصبح الهوية موضوعا وحياة تتولد وتعاش وتتشكل في كل مرة يتزعزع فيها الوطن /العراق ((وسيطها لذلك الخيال والفعل بما هما حكيا ابداعيا عن الذات)) [2] اذ تعرض لنا الرواية يوسف بصفته ذاتا تعرضت لعملية الاقتلاع من الجذور إثر عمليات التهجير التي واجهت اليهود في العالم وفي العراق آنذاك ، اذ تسعى للحفاظ على هويتها العراقية من خلال التموضع في هويات بديلة عن الهوية الاصل ،هويات متحولة هدفها ((الحفاظ على هويتها ....وهي ليست بالكيان الذي يعطى دفعة واحدة .....انها قيد البناء على نحو دائم وهذا يعني انها لا تتمتع بأي استقرار)) [3] فيواصل البحث الحثيث عن هويته الشخصية التي تضمن تواصله ووجوده من خلال الاستعانة بلعبة الهويات المستعارة التي تبدو ((كتشكيل تراجيدي يومئ بوطأة القدر الجاثم على كل الذات شقاءً واحداثاً مفزعة)) [4] ،ويواجه القارئ لرواية حارس التبغ اعترافاً من الراوي بممارسته لعبة الهويات المستعارة التي تتمظهر اولاً بهوية (حيدر سلمان) الهوية المتشظية عن هوية (يوسف سامي) إذ يقول الراوي في هذا المشهد الروائي ((وهكذا بنيت حياته بشكل لا لبس فيه وزيف ما كانوا يطلقون عليه الهوية الجوهرية ، ذلك لأن حياته تبين امكانية التحول من هوية إلى هوية عبر مجموعة من اللعبات السردية ، فتتحول الهوية إلى قصة يمكن الحياة فيها وتقمصها

(1) المصدر نفسه / 34

(2) م. ن / 7

(3) الاخر في الرواية النسوية العربية / نهال مهيدات /11

(4) بول ريكور الهوية والسرد / 8

.....وهنا يطلق هذا الفنان ضحكة ساخرة عن صراع الهويات القاتلة عبر لعبة من الاسماء المستعارة والشخصيات الملتبسة والاقنعة الزائفة)) [1] إنها لعبة الهويات المنتحلة والاسماء المستعارة والملتبسة التي يقر الراوي بها في مستهل الرواية وتبعاً لذلك فأنه ((لا يوجد سياق خالد لحيواتنا ، نحن متموضعين تاريخياً حسب انتوني ثيسلتون بمعنى انه لا يمكن فهم حيواتنا إلا في سياق اللحظة التاريخية الحالية ، كل ما يعنينا هو الحاضر ،فلا تأثير للماضي ، اما المستقبل فهو مفتوح على كل الاحتمالات)) [2]إذ يجد القارئ نفسه امام لعبة ثلاثية الاطراف ((وهكذا قد فعل كمال مدحت ، فكانت له ثلاث شخصيات كل شخصية لها اسم وعمر وملامح وقناعات ومذهب مختلف .....فسامي صالح هو الموسيقار اليهودي ، الليبرالي والمتنور ولد في العام 1926 في بغداد .....وحين دخل طهران اتخذ لنفسه شخصية حيدر سلمان وهو موسيقار ولد في عائلة شيعية متوسطة وقد ارتبط بالحركة الشيوعية طوال الستينات وتقول موسوعة الموسيقى العراقية إنه توفي في طهران في العام 1981 ، وحين دخل من دمشق الى بغداد دخل بهويته وشخصيته الثالثة وهي شخصية كمال مدحت وهو الموسيقار المعروف ، ولد في عائلة من التجار تقطن الموصل في العام 1933)) [3]إ ن كل هوية هي في ذاتها جزء من حياة منغمس في سياق حي للتفاعل و التواصل بل وربما البقاء والقصد والتخيل والالتباس والغموض لأنه فقد اسمه وهويته وكل هذا قد يومئ إلى رؤية النص للعالم التي تتصف بالتوتر والاضطراب وانكسار الاحلام وتفتيت الأماني)) [4].....وهناك دائماً هوية تالية وقصة تالية مختلفة ومحتملة يمكن ان تحكى)) [5] لأن ((الحياة تفتح دائماً خيارات واقعية

(1) حارس التبغ / علي بدر /33

(2) أفق يتباعد (من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة) / اماني ابو رحمة / 52

(3) حارس التبغ / 12-13

(4) ينظر انماط الرواية العربية الجديدة / د. شكري عزيز الماضي /109

(5) ينظر السرد والهوية (دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة)/ تحرير جيتز بروكيمير – دونال كوبو /18

ومتخيلة تشمل معاني وهويات وتستدعي تفسيرات اكثر حتى مما يمكن ان يعبر عنه عدد كل قصص الحياة الممكنة)) [1] .

إن الذات في رواية حارس التبغ تنتقل من هوية لأخرى مغايرة وملائمة لظروفها تختلقها او تتشارك في اختلاقها مع اطراف صديقة او معادية ، لقد حول يوسف سامي حياته إلى سرد هوياتي يؤسس للذات ويحافظ عليها وعلى تاريخها وعلى ارتباطها ببلدها ، فحينما نفي يوسف اليهودي الهوية من العراق إلى اسرائيل لم يستطع المكوث هناك بعيداً عن بغداد .. عن الماضي ،إذ يبرر المشهد الروائي التالي التحول الهوياتي من يوسف إلى حيدر إلى كمال ((وهكذا تبين حياة كمال مدحت ان الهوية ترتبط على الدوام بواقعة سردية ، فهي حكاية تلفق او تفبرك وتسرد في لحظة هي مطلقة الاعتباطية ، في لحظة تاريخية مموضعة يتحول الاخرون فيها إلى آخرين واغراب واجناب ومنبوذين ايضا ،.....وهكذا تبين حكاية هذا الفنان ان الهوية هي حركة من حركات التموضع وسياسته ، فما ان تجد لها موضعاً في حركة تاريخية معينة حتى تغيره في لحظة تاريخية اخرى .... فكل جماعة وهي تفقد جذورها في الزمان فإنها تعمد إلى استعادة افقها المفقود ولا يمكن لها استعادته إلا من خلال السرد والخيال)) [2] وذلك ما نجد صداه لدى بول ريكور حينما رأى إن ((الهوية سردا يؤسس للذات وذلك بجعل حياتها قصة مقروءة من ذاتها ومتلقاة من جموع غيرها وهم بدورهم لهم ذات السرد وذات القراءة)) [3] ، لقد برع يوسف سامي المنفي باختلاق هوية جديدة مغايرة هي ليست هوية باسم ومهنة فحسب وإنما هي حياة جديدة تعاش وقصة مختلقة تسرد وانها رغم اختلافها وتشظيها الا أنها تقدم ((اختلافا في خدمة الحضور)) [4] كما يرى دريدا ، إذ يقول الراوي ((في العام 1953 رحل يوسف سامي من تل ابيب إلى موسكو لحضور حفلة موسيقية ، إذ تعرف فيها على عازف الكمان الشهير (سيرجي او يستراخ)وساعده الاخير على

(1) السرد والهوية /18

(2) حارس التبغ / 14

(3) بول ريكور الهوية والسرد / 28

(4) المصدر نفسه / 30

الهرب من ايران ايام حكم الشاه (رضا بهلوي) مرورا ببراغ ...حيث دخل إلى العراق باسم (حيدر سلمان)، ولد في بغداد في العام 1924 ،درس الموسيقى في طهران وموسكو وولد له في العام ذاته ابنه حسين)) [1] .إن ضياع الهوية وتشظيها خلخل الذات وجعلها مهددة بالتلاشي والاندثار وهذا ما دفع به لمحاولة استعادتها ، فالهوية والوطن شكلا الفردوس المفقود الذي لابد من نيله والانتماء له بأي صورة وشكل ممكن ((فما نفقده نستعيده صوراً في منام في مرايا الوجوه وفي قلق الذاكرة)) [2] فكان رهان البحث عن هويات بديلة هو الامل والحلم وهو أيضا قلق الوجود ، وإذا كانت الهوية في أهم وجوهها تعني الأصل والوجود والانتماء ، فإن التشظي في رواية حارس التبغ وتلبس هويات مشوهة تعني استدراك وهمي لهوية ضائعة ولوطن أستبعد عنه بقوة الانظمة وسطوتها ولابد من العودة إلى الوطن ((فما كان يهمه هو العودة الى العراق ، والعودة الى العراق لم تكن تعني له اكثر من المكان الذي كان يعزف فيه فيما مضى موسيقاه)) [3]إذ يمهد الراوي في القسم المعنون (حارس القطيع من حياة يوسف سامي صالح) إلى هذه الرغبة العارمة في التغيير الهوياتي فيقول ((كل شيء في داخله كان ينزع نحو التسامي ،كل شيء في داخله ينزع نحو الاعلى ، لقد شعر يوسف أن داخله حنينا عميقا وجارحاً للتلاشي في الاثير ، رغبة مجهولة للذوبان والامحاء ، هذه الهوية ثقيلة عليه ، دافعة له للماضي والغرق والنسيان وأراد الخلاص منها عن طريق التلاشي والهروب والاختباء ..... وإن لم يكن ممكناً فعليه الاختباء بشخصية اخرى وخلف اسم جديد وحياة جديدة)) [4]إذ يتبين انشطار هوية يوسف بين هويته الاصل والهويات المتشظية ،هو منشطر بين اختيار المنفى الحتمي وبين الواقع المرير لأنها تحيا في ((عالم لا

(1) حارس التبغ / 17

(2) الرواية العربية – المتخيل وبنيته الفنية / يمنى العيد /280

(3) حارس التبغ /173

(4) حارس التبغ /154-155 .

تسيطر عليه وتشعر بالعجز عن تغييره ، لا تمارس حريتها وبذلك تفقد وجودها ، ويصبح وجودها مثل العدم)) [1].

ويواصل تشظي الهوية وانشطارها حفرياته في ذات الشخصية الروائية ، إذ يقول الراوي في هذا المشهد الذي يشهد فيه التحول الهوياتي من يوسف إلى حيدر ((ثم قدم له جوازاً مزوراً باسم حيدر سلمان بمهنة موسيقي وقال أنه سيبقى فترة من الزمن في طهران ثم بعد ذلك يدخل بغداد)) [2] ، لا يحمل المنفى سوى وجهاً واحداً ، ولا يحيل إلا على دلالات معروفة ومألوفة ومعاشة لذلك تعاود الذات التفكير بقلقها الوجودي وبهمها المتواصل هم الانتماء للوطن وبأية وسيلة متاحة لأن ((المنفى مكان يتعذر فيه ممارسة الانتماء)) [3] على العكس من الوطن الذي يتحول فيه الانتماء إلى وهم الانتماء أو لنقول هم الانتماء ، هذا الشعور الذي كان يجتاح يوسف أو حيدر سلمان ويراوده للوصول إلى الانتماء وذلك عبر ((الاحتماء وراء اسوار هوية حقيقية ، أو متوهمة)) [4] هوية مزيفة قائمة على انقاض هوية أخرى يتلبسها ويجعلها معماراً لترميم خيباته المتناسلة إذ يقول ((وكان جواز السفر المزور الذي يحمله يمنحه شخصية جديدة ليس بالاسم فقط ..... وحين جلس مع كاكة حمة في موسكو قدم له الاخير معلومات كثيرة عن هذه الشخصية كي يخلق نوعاً من المواءمة معها ، فهو ابن تاجر في سوق الاستربادي في الكاظمية ، درس الموسيقى في موسكو ... وهو معروف بتعاطفه الشديد مع القوى اليسارية ،وهكذا فإن تاريخ شخصيته الثانية مختلف جدا عن تاريخ شخصيته الاولى وهو ملزم بطبيعة الامر بتقمص هذه الشخصية وتجسيدها ..... ان ما كان يهمه فعلا هو العودة الى

(1) الهوية والاغتراب في الوعي العربي /حسن حنفي / مجلة تبين / ع 1- مج 1 /صيف 11/2012 .

(2) حارس التبغ / 163 .

(3) الانتلجنيسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي (دراسة في الروئ والتمثلات) /182 .

(4) النص -السلطة -الحقيقة (الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإردة الهيمنة)/ نصر حامد ابو زيد/27 .

العراق .....)) [1] إنها هوية بأبعاد كاملة ليست اسماً فحسب بل دين ومذهب وحياة إذ ((يمكن عد اسماء الشخصيات نصوصاً لهوية أثنية أو دينية)) [2] وهذا ما أكده السرد فيما بعد إذ عاد بهويته الجديدة إلى بغداد بعد ثورة تموز 1958 وقطن في منزل في محلة الكرادة فتحول يوسف إلى اسم جديد ((حيدر سلمان)) لأن أي تطور أو تغير أو التباس يظهر على البطل أو الشخصية نراه يتمظهر بصورة مباشرة في طريقة تسمية المؤلف له)) [3] فيقول ((من الواضح ان حيدر سلمان عاد بقوة ذلك الوقت إلى الموسيقى ... وقد احيا الكثير من الحفلات الموسيقية في أماكن متعددة ، وهي أماكن مختلفة كليا عن التي كان يحيي بها حفلاته في مضى ..... إن حيدر سلمان عاش هذا الزمن بحياة جديدة تماما ولم تكن هذه الحياة مضطربة كما كانت وإنما كانت حياته على درجة كبيرة من التركيز والانتباه)) [4] ، إن تعلق هويات حارس التبغ بالوطن – العراق واسقاطاته وإن كان وهماً يمثل النسق الأكثر حتمية في إتمام جزء كبير من ذاته ووعيه الروحي والموسيقي والفكري ، فالوطن لا يمثل بقعاً ومبان مشيدة صماء وصروحاً قائمة بل إنها تصبح علامات سيميائية تنطق بخطابات الانسان ودوافعه وهواجسه الفكرية)) [5] إذ يقول الراوي عن هوية حيدر سلمان وتعلقه الروحي بالموسيقى كموسيقار وكمثقف ((لقد شعر حيدر سلمان انه يشرع في خلق شيء محسوس ..... أحس في البداية انه ينقاد إلى أشياء غير معينة ، هي غير ملموسة ولكنها محسوسة ، انه إيمان دون شك ، إيمان كان يشعر به كما لو كان يجمع شتات الأديان في داخله ، اليهودية التي عرفها وهو طفل ، المسيحية التي تتسرب إليه من خلال الموسيقى الكلاسيكية ، الاسلام الذي اصبح يعيش في

(1) حارس التبغ / 165– 173 .

(2) الرواية العربية ما بعد الحداثية (تقويض المركز – الجسد– تحطيم السرديات الكبرى) /د. ماجدة هاتو هاشم / 195 .

(39) ينظر: شعرية التأليف / بوريس اوسبنسكي / 33 .

(4) حارس التبغ / 183– 185 .

(5) ينظر: الانظمة السيميائية / دراسة في السرد العربي القديم / د. هيثم سرحان / 71

داخله)) [1] إنها الموسيقى وفعلها الذي يجعله يحلق ، ويتسامى ويولد من جديد ويتوحد بالأشياء وبالموجودات وبالطبيعة ، لكنها الثورات والانقلابات التي يهجس بها من خلال نبض الشارع والقوة الجماهيرية التي يرى انها تعبث وتقتل وتدمر ، انها تجعله يهبط ويتوارى خلف هوية جديدة مغايرة ، فهوية حيدر سلمان وشخصية المحروس في ديوان دكان التبغ تغيب مرة ثانية بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية ، إذ يهجر ويستبعد حيدر سلمان بسبب التبعية ((أنتم تبعية إيرانية ..... يجب أن تهجروا ألآن إلى إيران)) [2] ويقدم الراوي وصفاً لمشهد التهجير التراجيدي ، إذ تموت زوجته طاهرة أثناء التهجير ويساق ابنه حسين لمصير مجهول فيقول ((قالت له طاهرة انها تريد ان تستريح قرب شجرة ، فأسندها على كتفه وجعلها تجلس ببطء ،ثم رمى نفسه إلى جانبها ، نظر في الأفق البعيد ، فشاهد هذه الحشود التي تتقدم وهي تبكي ، .....فالأنسان هو الكائن الوحيد على الأرض الذي يتمتع بالقدرة على تعذيب بني جنسه ..... الآلاف من النساء والرجال الذين ينتزعون من ارضهم ، من منازلهم ويذهبون إلى أرض غريبة عليهم بالكامل ...)) [3] وهكذا يبعد وينفى حيدر سلمان ويحمل معه ثقل هويته إنه المأزق والأزمة ذاتها إذ يهجر حيدر كما هجر يوسف سامي لأننا ((نشقى بفعل إدراكنا للغياب ... إذ يصبح الغياب سبباً للوجود)) [4] ورغم ان الوطن يقابله حتمية الموت إلا ان الشخصية تحتمي بهوية تتلبسها ، أنه مازال يدور في ذات الحلقة المفرغة ويخلق من العدم والغياب والنفي والارتحال حضوراً أقوى فيخلع قناع هوية حيدر سلمان ويتنكر بهوية (كمال مدحت) وهذا ما يؤكده د. عبد الله ابراهيم بقوله ((فالجماعات تتعرض لتحولات قيمية كبرى تدفع بها لاكتساب هويات جديدة والتخلص من القديمة ويستعير الافراد أقنعة يتنكرون بها من أجل تخطي الصعاب ... وفي الحالين يقع تحول في الهويات على مستوى الاقليات العرقية والمذهبية والفردية ، فتعيد الجماعات إدراج نفسها في سياق هويات جديدة ،

(1) حارس التبغ / 209- 210 .
(2) حارس التبغ / 230 .
(3) حارس التبغ / 232 .
(4) جماليات التشظي/ 21-22 .

ويختبئ الافراد وراء أقنعة يحتمون بها من الاخطار ، ومن الصعب إغفال أثر المرجعيات الدينية والسياسية في كل ذلك)) [1] وإذ تعول الشخصية على هوية جديدة وتعيد تفكيكها وتركيبها في محاولة دائبة لتغيير وتعديل وإقامة ما انقض من حياته عشية الحروب والانقلابات والثورات والصراعات المتعاقبة ،لأن الهوية عندما تتعالق بهويات الاخرين فإنها تؤدي الى توليد وانتاج قصص ذوات نسق ثانٍ تتشابك وترتبط بدورها مع قصص أخرى)) [2] لاسيما انها – الشخصية – ظلت لاجئة في ايران لسنة كاملة لتهرب بعد ذلك إلى دمشق بجواز سفر مزور وباسم وهوية كمال مدحت ، شخصية عراقية سنية ويتزوج من سيدة عراقية تدعى ناديه العمري الموصلية الأصل والتي أنجب منها ولده (عمر)، وخلف هذه الهوية التي توارى بها عاد إلى العراق وبقي فيه عقدين من الزمن حتى مقتله في عام 2006 إثر التوتر الطائفي الذي شهده البلد أبان تلك الفترة ، لقد عاش كمال مدحت بروح الموسيقار وتقرب من السلطة الحاكمة آنذاك وأقام علاقات وطيدة مع شخصيات متنفذة ومقربة من زمام الحكم حتى أصبح من اكثر الموسيقيين شهرة في العراق والوطن العربي ، ويلاحظ أن الشخصية تعترف بتحولاتها وتشظي هوياتها على لسان الراوي العليم أذ تقول ((إنه مسرح كبير يحدث فيه على الدوام التباس الشكل بالمعنى ، ها هي الحياة أمامه ، أنها ليست سوى أداء ممثلين .....لم يكن قبل يومين سوى الموسيقار العراقي حيدر سلمان ، اليوم أمر آخر ..... عليه أن يجد لنفسه أداء آخر ، المسرحية القديمة انتهت ، سيدخل عالماً جديداً وحياة جديدة)) [3] فيوسف أو حيدر أو كمال يقف على أعتاب مرحلة جديدة وهوية جديدة وحياة مختلفة ونقطة تحول هوياتي لأنها لا تطيق العيش خارج حدود الوطن لا في إسرائيل أو ايران أو سورية التي اختارها لقربها من بغداد فهل يحق لنا أن نفترض إن ما تفعله الشخصية رغبةً في انتماء أم هو وهم الانتماء أم هو منفى داخلي اختياري ورحلة معاكسة مضادة

(1) السرد والاعتراف والهوية /عبد الله ابراهيم / 149 .
(2) بول ريكور الهوية والسرد / 39 .
(3) حارس التبغ / 235 .

للتهجير والاقتلاع والنفي عن الوطن إذ ((يصبح الوطن في وقت واحد مكاناً للجذب بوصفه مسقطاً للرأس ، وللطرد بوصفه مكاناً للحياة لا تتوافر للشخصية مكنة نفسية على هجره ولا نسيانه ولا يمكن العيش فيه إلا بالتخفي)) [1] والحياة وراء هويات مختلفة ((إذ دبرت له المنظمة جواز سفر مزوراً لشخص توفي قيل أيام في حادث سير ،كان اسم صاحب الجواز كمال مدحت حسن تاجر عراقي متزوج من سيدة عراقية تدعى نادية العمري ..... هذا كل ما يعرفه عن هويته الجديدة .....ما أن قرأ اسمه الجديد ورأى صورته في الجواز .....حتى شعر أن شخصية حيدر سلمان قد ذابت تماماً شعر بغربة كبيرة عنها كأنها شخصية مفروضة عليها شعر بانتماء أكبر لشخصيته وهويته الجديدة ، شخصية كمال مدحت)) [2] فالقارئ يقف بمواجهة ثلاث شخصيات وثلاث هويات سردية وجميعها كما تظهر القراءة شخصيات مكتسبة تحيل على ((هوية مكتسبة فعلها في واقعها .... هي بالضبط حركة توليد الفوارق والاختلافات ،إنها انتقال ملتبس ملتو من مخالف لآخر ، انتقال من طرف التعارض للطرف الآخر)) [3] فمن خلال لعبة الهويات يكتشف ((جوابه الأساس عن هويته ، كل واحد منهم هو وجه من وجوهه، .... إنهم لوحة تكعيبية بثلاثة أبعاد لوجه واحد)) [4]لأن العلاقة القائمة بين هذه الهويات ((تتجاوز مجرد التعرف على الحدود المرسومة بينهما فكل طرف يتوسل الآخر لضرورة وجود)) [5] وبهذه الهوية الاخيرة تختتم الرواية إذ يقتل الموسيقار كمال مدحت ، هوية كمال مدحت هذه ((تلتهم ما جاورها وما سبقها من هويات)) [6] ويبدو أن لهاث الشخصية بهوياتها الثلاث المتباينة للبقاء بالوطن أو العودة اليه يضعه على نهاية الطريق الحتمية المتمثلة بالموت –الموت– النهاية التراجيدية لحلم وهم الانتماء أو كما نحسبه هم الانتماء

(1) السرد والاعتراف والهوية / 149 .
(2) حارس التبغ / 252 .
(3) ينظر: بول ريكور الهوية والسرد / 26–27 .
(4) حارس التبغ / 328 .
(5) البنية السردية في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر / د. عشي نصيرة / 187 .
(6) السرد والاعتراف والهوية / 155 .

الذي ظل يراودها ، أنه وجود متواصل حتى الموت ونهاية فعلية للعبة الهويات المستعارة التي اجترحتها الشخصية وامتثلت لها إذ تنبأت بموتها في احدى رسائلها (لفريدة روبين)الزوجة اليهودية الاولى التي بقيت الشخصية على تواصل معها رغم التحول الهوياتي والنفي والاقتلاع والتهجير إذ يقول مستسلماً للموت ((سيصل الموت قريباً لن أعيش طويلاً ، صحيح اني سأقاومه أول الامر ولكني سأستسلم له بحب)) [1] إذ يصف لاكان دافع الموت والاستسلام له بأنه حنين للعودة الى تلك العلاقة التي يمتزج فيها الطفل بالأم ويصبحان شيئا واحدا)) [2] ويقول ايضا مستشرفا الموت ((سيقتلونني أنا اعرف ذلك ...)) [3] إنها حتمية الموت التي اختتمت بها الرواية فتموت الهويات الثلاث بموت الهوية الاخيرة كمال مدحت ، هذا ما كشفت عنه مسار الاحداث السردية لتتحول رواية حارس التبغ إلى وثيقة سردية عالجت موضوعة الهوية وتحولاتها وأثر المرجعيات السياسية والفكرية والدينية والثقافية وتفاعلاتها وتجلياتها في انبثاقها وبلورتها

ثانياً:_ حارس التبغ بين هاجس التحول الهوياتي والسمو الموسيقي

ممالا شك فيه إن لكل رواية أعرافها وتقاليدها الروائية المميزة ومقولاتها الفكرية والثقافية والتاريخية والانسانية التي تحاول بثها لتصل للقارئ وتحاوره بمختلف الاساليب والسبل ورواية حارس التبغ تلك المدونة السردية التي امتلكت اعرافها وتقاليدها ورؤاها الخاصة وذلك من خلال التمازج والاندماج والاستعانة بغيرها من الفنون لاسيما (فن الموسيقى) الذي فرض حضوراً جلياً

(1) حارس التبغ / 330 .

(2) ينظر : المتخيل الثقافي ونظرية التحليل النفسي المعاصر / السيد ابراهيم / 48 .

(3) حارس التبغ /347 .

وواعياً ومقصوداً وهذا يعود ربما إلى ((تهاوي الحواجز الفاصلة بين أنواع الفنون على النحو الذي يشير إلى رغبة في التوصل إلى تعبير شامل عن القيم العامة ... إن كل الفن يطمح دائماً إلى الوصول إلى حالة الموسيقى تجد لها مبرراً في الرواية ...)) [1] ، هذا المبرر مثّل الدافع القوي لخروج النوع الروائي وانزياحه وكسره لكافة الأطر والتحديدات التي تقيده وتغتال حريته إذ ((أصبح جزء لا يتجزأ من وظيفة الممارسة الفنية الحديثة التي غالباً ما توصف بالترابط الوسائطي والتواصلي ، والتي تتعرض على الدوام لمزيد من التغيير والتطوير)) [2] ونتج عن ذلك ما اطلق عليه (تداخل الفنون) الذي أسهم في تأسيس جماليات تلقي وتداول جديدة ومغادرة أعراف قرائية قديمة ومتداولة قائمة على الفصل بين التخصصات والانواع تمهيدا لإحلال أعراف جديدة قوامها المزج والتداخل والاختلاط والاستعارة)) [3] وهذا الاختراق للحدود والتداخل والاستيعاب لفضاءات متباينة الذي امتازت به الرواية ((نابع من رغبة في إثراء جوهرها وتنويع خطاباتها وتكثيفها ، فلم تعد الرواية / الكتابة ابداعاً منغلقاً على ذاته بل صارت ميداناً رحباً لتلاقي الاجناس والفنون والمعارف وتفاعلها)) [4] إن هذا الاحتفاء والتعالق والتداخل مع فنون أخرى يجعلنا نفهم كما يدعو كونديرا إلى إن ((تأليف الرواية يعني مجاورة فضاءات عاطفية مختلفة ، وان هذا هو في نظري فن الروائي الاشد حذقاً..)) [5] وبالتالي فإن هذا يمنح وبقوة تمددا وتوسعا ً في الأفق والقيمة للفن الروائي ، ويبدو أن رواية حارس التبغ من الروايات التي نزعت إلى ارتياد آفاق فن الموسيقى والاقتراب منه ومجاورته واستعارة الفاظه واقتحام عوالمه السحرية فترددت الالفاظ والآلات الموسيقية التي كانت الشخصية

(1) الزمن والرواية / أ. أ. مندلاو /65- 69 .

(2) افق يتباعد (من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة) / 83 .

(3) ينظر : تراسل الفنون في كتابات واسيني الاعرج الروائية / دليلة زغودي / 1/ المركز الجامعي – قسم اللغة العربية –تلمسان مغنية – الجزائر / 1 .

(4) تمثلات انفتاح الرواية على الفنون الاخرى – قراءة في روايات واسيني الاعرج /ايمان هتشيري/ 1 .

(5) فن الرواية / 94 .

بهوياتها الثلاث المتحولة تتداولها وتستعيض بها عن عالم واقعي فقدته ، أو عن هوية تشظت أو سلبت ، فالموسيقى والرواية تعد أدوات صالحة لارتياد الواقع وتبديله وتجاوزه إذ تواتر في الرواية الحديث عن (الفيولون والتوليفات الموسيقية والسوناتا والكونسرفتوار والبروفات والعروض الموسيقية) إذ يقول الراوي عن حضور هوية حيدر سلمان الموسيقية ((في هذا المسرح ايضا عزف حيدر سلمان بعد عام من زواجه من طاهرة .... عزفا منفرداً للمقطوعة رقم 4 من دي – مول : هنري فيوتان بعبقرية وتنغيم مرهف ، مع نغمات مرتفعة وخط رائع)) [1] فتمثلات الموسيقى وعوالمها الروحية حاضرة وثابتة رغم تبدل الهويات واختلاف الأقنعة إذ يصل يوسف سامي اليهودي الهوية لقناعة راسخة أنه مع الموسيقى يتجرد الانسان من ثقل الهويات ويتحول لإنسان حر...فنان يتعالى على صخب الأدوار والأقنعة واللبوس والأديان ((وكان يريد أن يتطابق مع الموسيقى ، الموسيقى لا دين لها ، الجمال يدعو للتطابق مع شيء أثيري ، مع إله ....لقد رفض يوسف أن يرتدي زياً محدداً ، لم يقبل أن تلصق عليه أي بطاقة ... ولذلك كان يوسف يفرح فرحاً غامراً في عزفه للموسيقى .... لا لأنه يحب الموسيقى فقط ، إنما لأنه ما أن يصعد على خشبة المسرح حتى تسقط هويته مباشرةً .... غير أن هذا الفرح كان يذوب ويختفي في الصباح ، يذوب تحت ضغط الحياة ووطأة الهويات ، فهو ما أن يكون واقفاً على خشبة المسرح لا يضعه أحد في خانة أو تصنيف)) [2] فالشخصية بهوياتها المتبدلة تتوحد مع الموسيقى ، ورغم قساوة التشظي الهوياتي الذي اجبرت عليه واضطرت لتداوله لمواجهة واقع عقيم إلا أن الرواية ((ينبغي لها أن تكلمنا عن عالم لا يمكن أن تحدث فيه الموسيقى وحسب ، بل تكون فيه الموسيقى ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها ، وأن تظهر لنا كيف ان اللحظات الموسيقية لدى بعض الاشخاص : من استماع ودراسة وتأليف هي مرتبطة بوجودهم)) [3] إن الحضور المولع

(1) حارس التبغ / 177 .

(2) م . ن / 153- 154 .

(3) بحوث في الرواية الجديدة / ميشال بوتور / 40 .

للموسيقى والشغف البالغ بالألحان والتوليفات الموسيقية أدى بالمحصلة النهائية إلى ((ظهور عوالم سردية متنوعة في قيمها وتصوراتها ومواقفها ، أدت بدورها إلى إثراء البنى الدلالية للرواية)) [1] ولذلك وحسبما تظهره القراءة إن هويات حارس التبغ المتشظية أدركت امكانية وجودها وفاعليتها عبر وسيطها الروحي – الموسيقى –الذي وحَدها وحلق بها وبحيواتها المتضادة نحو التسامي والعلو ، فشكلت هويات حارس التبغ ((علاقة حوارية مع بعض المقولات الموسيقية لخلق الإتساق بين وحدات النص من جهة وبين المتلقي والرواية من جهة أخرى)) [2] لقد مثلت المعرفة الموسيقية رافداً سردياً تسرب للبنية الروائية و أغنى العملية السردية ، فكانت الموتيفات والافكار والتنويعات الموسيقية تسري اصواتها وتتدفق أصداؤها في وجدان الشخصية الروائية انتماءً وتطبيقاً وممارسةً وحضوراً حياتياً بالرغم من اوجاع الاختلاف والانقلاب الهوياتي المتواصل والمتزامن مع التداعيات السياسية والاجتماعية، فالموسيقى تعني للشخصية ((عملية الغياب توصلاً لحضور أقوى)) [3] ولأجل أن تنتصر روح الأنسان – الفنان– الموسيقي حاولت الشخصية بهوياتها المتشظية الإجابة عن أسئلة ملحة طرحها الواقع بتبدلاته عن طريق الحس الموسيقي المرهف ، فالموسيقى توحد التفاصيل المختلفة وتسمو بالإنسان ، إنها الانتصار الوحيد في خضم الهزائم المتكررة ، إذ يبين هذا المقطع الروائي الذي استنبطه الراوي من رسالة يوسف سامي إلى زوجته ذلك فيقول ((كانت الافكار تختلط مع بعضها ، بينما هو يزداد حماسة في الموسيقى ، يقول هل يمكن أن توحد الموسيقى الناس المختلفين ، كان يعتقد أن الموسيقى يمكنها أن تكون رمزاً لكل الطوائف وكل المذاهب والاديان والأثنيات .. لقد حاول أن يمزج الموسيقى الغربية التي يعشقها بالموسيقى العراقية ... كان يعتقد أن العقول يمكنها أن تزداد جرأة بالموسيقى يمكنها أن تبلغ درجة السمو)) [4] فقد تخللت المظاهر والروح الموسيقية الفقرات الحكائية

(1) السردية العربية الحديثة / الابنية السردية والدلالية / عبد الله ابراهيم / ج 2/ 141 .
(2) الرواية العربية والفنون السمعية البصرية/ د. حسن لشكر/ 79 .
(3) ينظر : النقد الثقافي المقارن / حفناوي بعلي / 170– 171 .
(4) حارس التبغ / 150 – 151 .

للرواية وأنعشت منطقها المتخم برائحة النفي والتحول الهوياتي والموت وحلقت به بعيداً عن رتابة السرد لخلق ايقاع خاص ومتناغم، إن الفن الموسيقي بالنسبة ليوسف أو حيدر أو كمال هو فن اكتشاف الأماكن والألوان والأبعاد ، فن التحرر من مخاوف الحياة ورتابة المألوف والشعور بموسيقى الكون ((فالموسيقى وحدها القادرة على تغييب الجدران والحواجز والظلام ، وحدها التي تجلب الأضواء والبلور ذا الانعكاسات ، وتمنحه الاعصاب المخدرة ..... الموسيقى والمرأة خففتا عليه أساه ، وجعلتاه يرتعش ويتناغم مع موسيقى الكون كله)) [1] بالموسيقى شعرت الهويات المتشظية بالوجود وبالعدم في الوقت ذاته ،بالحضور والغياب ،بالتوحد والتناغم والتلاشي مع الموجودات وبالموت وبحتميته اللانهائية

الخاتمة

وفي نهاية رحلتنا مع رواية حارس التبغ وهوياتها المتشظية لا مفر لنا من أن نستذكر مقولة الروائي (ميلان كونديرا) التي يؤكد فيها : إن السبب الوحيد لوجود الرواية هو أن تقول شيئاً لا يمكن أن تقوله سوى الرواية ..... وما قالته رواية حارس التبغ يفوق ما نوجزه من نتائج .

1- تعد الاستعانة بلعبة الهويات المستعارة بوصفها أقنعة رمزية يعبر من خلالها عن وعي بواقع سياسي وثقافي وفكري مأزوم يؤشر لدور المرجعيات السياسية والفكرية والدينية في بلورتها وتعميق فعلها .

2- رغم علاقة التجاذب الظاهرة بين الهويات إلا أن هذه العلاقة إنمازت في ذات الوقت بكونها علاقة وجود وهدفها تحقيق الانتماء المفقود ، وانها رغم اختلافها الظاهري يحدها الوطن بحدوده ويجمعها الموت بحتميته في النهاية .

3- هويات حارس التبغ تحاول في تشظيها أن تبلغ كمال الوجود أو حلم الوجود الذي ينطوي على قدر كبير وموجع من الغياب .

4- يلاحظ ثبات الفعل الموسيقي في مقابل غياب الحضور الهوياتي الحقيقي وضبابيته واختلافه وتشظيه وتحوله بين الفينة والاخرى .

---

(1) حارس التبغ /316 .

5- **التوحد مع الموسيقى بصفتها فن استعادة الذات بعد الفقدان وخوفاً من النسيان ، فكلما تحاصر الذات وتتوارى الهوية ويفتقد الانتماء يعلو صوت الموسيقى ويتعالى حضورها الخلاق .**

6- **رغم تفرد كل هوية من هويات حارس التبغ إلا أنها تشير في النهاية إلى هوية جمعية ووجود جماعي حقيقي .**

7- **جاء التعبير بالتشظي الهوياتي كنوع من المفارقة التهكمية الساخرة من الماضي والتاريخ والحاضر الاليم والواقع وزيف الثورات والاوطان التي تحمل في طياتها خبرة المنافي وكذب الآيدلوجيات والشعارات الديمقراطية**

8- **مثل الوطن القيمة الوجودية العليا لهويات رواية حارس التبغ وكان للنفي والتهجير والاقتلاع سبباً للإحساس بالفقد لا بمعناه العرضي أي بانفصاله عن الذات وحسب بل من خلال تدمير الذات بالكامل .**

References

1. A.A. Mandelao, **Al-Zaman wa al-Riwayah**, 65-69.
2. Abdullah Ibrahim, **Al-Sard wal-I'tiraf wal-Hawiyyah,** 149.
3. Abdullah Ibrahim**, Al-Sardiyyah al-Arabiyyah al-Hadithah, Al-Abniyyah al-Sardiyyah wal-Dalaliyyah**, Vol. 2, 141.
4. Abdulrahim Al-Alam, **Possible Chaos: Studies in Arabic Narrative**, 65-66.
5. **Aesthetics of Fragmentation: Critical Studies in the Literature of Edward al-Kharat and Badr al-Daib**, 13-14.
6. Alex Michelletti, **Identity**, 129.
7. Al-Farabi, **Kitab Al-Huruf**, 115-116.
8. Ali Badr, **Haris al-Tabgh**, 33.
9. Al-Jurjani**, Kitab Al-Tarifat**, 278.
10. **Al-Sard wal-Hawiyyah (Studies in Autobiography, Self, and Culture),** Edited by Gertz Brockmeier and Donald Cobo, 18.
11. Al-Sayyid Ibrahim, **The Cultural Imaginary and Contemporary Psychoanalytic Theory**, 48.
12. Amani Abu Rahma, **Ufuq Yataba'ad (Min al-Hadathah ila Ba'd Ma Ba'd al-Hadathah)**, 52.

13. Ammar Halassa, **(Identity in Narrative Discourse Between the Power of Language and the Dominance of Belonging**, International Conference on Narratives, University of Ouargla, Algeria, 354.
14. Boris Uspensky, **The Poetics of Composition**, 33.
15. Dalila Zeghoudi, **Intersections of the Arts in the Writings of Wassini al-Araj the Novelist**, 1, University Center - Department of Arabic Language - Tlemcen Maghnia - Algeria.
16. Dr. Ashi Nasira, **The Narrative Structure in Contemporary Algerian Fiction**, 187.
17. Dr. Haitham Sarhan, **Semiotic Systems: A Study in Ancient Arab Narration**, 71.
18. Dr. Hassan Lachkar, **The Arab Novel and Audio-Visual Arts,** 79.
19. Dr. Majida Hatou Hashem, **Al-Riwayah al-Arabiyyah Ma Ba'd al-Hadathiyah (Undermining the Center - Body - Breaking the Grand Narratives)** , 195.
20. Dr. Shukri Aziz Al-Madi, **Patterns of the New Arab Novel,** 109.
21. Dr. Wafiq Slayteen, **Questioning Identity and Critiquing the Logic of Privacy**, Conference on National Identity - Readings and Reviews in Light of the Syrian Crisis, 6.
22. Fahd Saad Al-Duwaikh, **Image of the Other in Poetry from the Umayyad Period to the End of the Abbasid Period**, 20.
23. Hafnaoui Baali, **Comparative Cultural Criticism**, 170-171.
24. Hassan Hanafi, **Identity and Alienation in Arab Consciousness**, Tubayyan journal, Issue 1, Volume 1, Summer 2012, 11.
25. Ibn Manzur, **Lisan Al-Arab**, Bab Al-Sheen - Shadha, Vol. 4, 2268.

26. Iman Htsheri, **Representations of the Novel's Openness to Other Arts - Reading in the Novels of Wassini al-Araj**, 1.
27. Michel Butor**, Research in the New Novel,** 40.
28. Milan Kundera, **The Art of the Novel**, 106.
29. Mohammed Fadel Al-Mashlab **Iraqi Intellectuality in the World of Ali Badr the Novelist: A Study of Visions and Representations**, 9.
30. Nasr Hamid Abu Zayd, **Text, Power, Reality: Religious Thought Between the Will to Knowledge and the Will to Domination**, 27.
31. Nihal Mahaydat, **Al-Akhir fi al-Riwayah al-Niswiyah**, 11.
32. Paul Ricoeur, **Identity and Narrative,** Hatem Al-Werfali, 31.
33. www.iki,httbs://ar.m.wikibedia.org
34. Yamna Al-Eid, **The Arab Novel - Imagination and Its Artistic Structure,** 280.

The Fragmentation of Identity in Ali Bader's The Tobacco Keeper

Sahar Risan Hussein*

Abstract :

Identity is located at the other side of otherness. It is crystalized as an interactive and transformed relation with the change of circumstances and the contexts based on concepts of evolution and the change of the historical movement. Identity is a lived human experience not restricted to the personal name only. It accompanies existence because it represents real lives, experiences, and times. Identity is constituted through other identities, identical or approximate, thereby constructing a melting point and holding non-existing things. Entity is transformed into a separate or unified hidden existence where it exceeds the boundaries of the self , it positions itself outside the narrow and compelling circles , and it enjoys freedom in search of distinction and life and living the identity of the other. No doubt, there are a host of challenges that face identity and embrace in Ali Bader's *The Tobacco Keeper* . Such challenges force identity to overpass the idea that it is a besieged soul through openness and the domination over the other's identity which led it to the boundaries of fragmentation and non-existence.

Key words : identity؛ affiliation؛ music

***Assist. Prof./ Department of Arabic Language/ College of Education for Girls/ University of Mosul**